ومسيحيين،] بممارسة الديمقراطية كاليهود»[٨]؛ وهو ما كرّره كل قادة وساسة اسرائيل، قولاً وممارسة واصراراً على الغاء سياسي للشعب الفلسطيني بأكمله، وعلى سرقة وطن بكل ما فيه، وعلى تكرار مجازر جماعية في سياق حرب ابادة؛ وتبرير هذا كله بادعاءات وأساطير دينية. وبهذا لا يمكن استبعاد صحوة اسلامية فلسطينية تكون استجابة طبيعية للمحور الديني للتحدي الصهيوني. لو أخذنا حالة القدس لوحدها، بما تمثّله من قدسية وأهمية دينية بالغة لمليار مسلم في عصرنا، لوجدناها مبرّراً ودافعاً طبيعياً لتيار اسلامي فلسطيني ازاء التمادي الوقح للسياسة الاميركية في الاستهتار والاستهانة بالشعب الفلسطيني والأمة العربية والعالم الاسلامي، والذي كانت آخر حلقاته المتصاعدة الضغط على الاتحاد السوفياتي لتهجير يهوده الى فلسطين، تغييراً لواقعها الديمغرافي الراهن، وامعاناً في تشريد من بقي من شعبها على أرضها؛ وقرار الكونغرس الاميركي، الممعن في الاهانة، باعتبار القدس موحّدة عاصمة «أبدية» لاسرائيل. ان القدس التي تنبأ الرسول العربي محمد (صلعم) ان يسوق الله خير عباده اليها، وان تشهد حسم الصراع بين التوحيد والكفر وبين قوى الخير والشر تبدو، اليوم، رمز التصدي للغزوة الصهيونية ومحور مستقبل العالم العربي والاسلامي، حضارة ووجوداً وبقاء. واذا كانت محاولة احراق المسجد الاقصى، في العام ١٩٦٩، قد فشلت في استحثاث مستوى من الاستجابة الجمعية للعالم الاسلامي تتناسب مع خطورة التحدي وأبعاده الشاملة، وكذلك الامر فيما كشف النقاب عنه من خطة غوش ايمونيم، التي وضعت في اجتماعات حضرها اصحاب نفوذ في حكومة مناحيم بيغن وأعضاء كنيست وضباط جيش، أقسموا، جميعاً، في منزل الحاخام موشي ليفنغر، في مستوطنة كريات أربع، قرب الخليل، في مطلع العام ١٩٧٩، على تدمير المسجد الاقصى، وفاضلوا بين خيارات التنفيذ قصفاً من الجو أو زرعاً للمتفجّرات أرضاً، وهو ما انتهى اسرائيلياً، كالعادة، الى حكم شكلي بالسجن لمدة قصيرة على بعض صغار المتآمرين، أعقبه، كالعادة أيضاً، عفو أصدره رئيس اسرائيل، حاييم هيرتسوغ، عن دان بيري ويوسف دوزوريا، اللذين اعترفا بتآمرهما لنسف قبّة الصخرة والمسجد الاقصى، بينما انتهى، عربياً، واسلامياً، الى الاحتجاجات التقليدية الرسمية، وانتهى، اميركياً، واوروبياً، الى سوق مزيد من الاموال والاسلحة والدعم والتبرير الأعمى لكل ما تقوم به اسرائيل، حكومة ومجموعات وأفراداً، فان التطوّرات المحلية والدولية التي تلت حاملة مزيداً من التراجعات والتنازلات في ادارة الصراع، عربياً واسلامياً، ومزيداً من التعنّت والتحدي، صهيونياً وأميركياً، وتلقائية سريعة في انضمام ركب اوروبا الشرقية الى ما ترسخ من تعامل أميركي واوروبي غربي تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي، بحيث بدا تعزيز الاحتلال الصهيوني لفلسطين، والتحدي الصهيوني لما حولها، أسرع ما تلا قمة مالطا للعام ١٩٨٩ تنفيذاً، مثلما كان حسم تنفيذ وتكريس قيام اسرائيل ومحو فلسطين أسرع ما تلا قمة يالطا تنفيذاً، لا يمكن الّا ان تقرع صوت الحقيقة قاعدياً لدى مليار مسلم ازاء عجز مؤسساتهم الرسمية وامعانها في السكوت عن الامتهان الاميركي والعربدة الاسرائيلية. وطبيعي ان تكون نقطة البداية في هذا الاستنهاض فلسطين، أرضاً ومجتمعاً، ما دامت هي مركز التحدي والاستجابة ومحور الصراع.

ان الدين، من حيث كونه قوة أخلاقية موحّدة، وقوة حضارية دافعة، ومجموعة تصوّرات للاله والكون والبيئة ودور الانسان فيها، وعقائد وأساليب حياة ذات علاقة بالمطلق والمتغير قد مثّل، في معظم الحالات التي عرفتها البشرية، جوهر المبرر العقائدي لكل صراع؛ أو كما أشار هارولد لاسكي، في كتابه «تأملات في ثورات العصر»، الى انه كانت الروح الدينية التي نعنيها هي النداء الملحّ بأن يكرس المرء نفسه لهدف أبعد من مجرد ارضاء شخصه، فان الجواب، بكل تأكيد، هو انه ما من